

الكتب السماوية بين النزول مفرقة والنزول جملة واحدة

"دراسة تحليلية مقارنة"

إعداد

د/ نجلاء محمد حسن محمد

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية البنات الإسلامية بأسيوط

جامعة الأزهر

الكتب السماوية بين النزول مفرقة والنزول جملة واحدة
"دراسة تحليلية مقارنة".

نجلاء محمد حسن محمد.
قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية البنات الإسلامية بأسيوط، جامعة الأزهر.
البريد الإلكتروني: naglaahasan.78@azhar.edu.eg

الملخص

ترتكز الدراسة في هذا الموضوع على مناقشة قضية نزول الكتب السماوية على رسل الله تعالى، وهل نزلت هذه الكتب عليهم جملة واحدة أم منجمة ومفرقة حسب الحوادث، وقد جاء هذا البحث في:

مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة:

أولاً: المقدمة: وذكرت فيها سبب اختيار الموضوع، ومنهج البحث، وخطته.

ثانيًا: التمهيد: ويشتمل على: تعريف التنجيم، والحكمة من نزول القرآن منجمًا.

المبحث الأول: القائلون بنزول الكتب السماوية جملة واحدة وأدلتهم.

المبحث الثاني: القائلون بنزول الكتب السماوية مفرقة وأدلتهم.

المبحث الثالث: مناقشة أدلة القائلين بالنزول دفعة واحدة مع بيان الرأي الراجح وسبب ترجيحه.

ثم الخاتمة وتشتمل على أهم نتائج البحث والتي من أهمها أن الكتب السماوية السابقة قد نزلت منجمة كالقرآن الكريم، وأن منهج التنجيم هو المنهج العام في تنزيل الكتب السماوية لحكم كثيرة مشتركة بين جميع الرسالات والرسل.

ثم ذيلت البحث بفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

الكلمات المفتاحية: (الكتب السماوية – النزول مفرقة – النزول جملة واحدة)

The Divine Books Between Being Brought Down Separated (by Intervals) and Being Brought Down as a Whole- A Comparative Analytical Study

Najla Mohammad Hassan Mohammad
Department: of Qur'an Interpretation and Sciences- Girls Islamic Faculty in Assiut- Al-Azhar University.
E-mail : naglaahasan.78@azhar.edu.eg

Abstract

This study examined the issue of the bringing down of the Divine Books between being brought down separately and being brought down as a whole. This research article consists of an introduction, a preface, and three topics.

The Introduction: Includes the reason for choosing the subject and the research methodology.

The Preface: Includes the definition of the Tanjeem (the separation), and the reason for the separate bringing down of the Divine Books.

The First Topic: Those who say that the Divine Books were brought down as a whole.

The Second Topic: Those who say that the Divine Books were brought down separated.

The Third Topic: The most correct opinion and the reason for choosing it.

The Conclusion: Includes the most important results of the research which are that the previous Divine Books were brought down separately like the Qur'an and that the method of separation is the general method in

bringing down the Divine Books for many common reasons between all the Messages and the Messengers.

Then, the research article was followed by a catalog of references and topics.

Keywords:

Qur’an Sciences, The Divine Books, The Tanjeem, The Messengers

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق النجوم ليهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وأنزل القرآن نجوما؛ ليهتدي به الناس من ظلمات الشهوات وفتن الشبهات، وأرسل محمدا- ﷺ - بالهدى ودين الحق؛ فلم يكن بدعا من الرسل، ولم يكن كتابه بدعا من الكتب؛ بل جاء مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه.

ولله تعالى في إنزال كتبه على من اصطفاهم من خلقه سنن، من أعظمها: أنها جميعها جاءت مشتملة على الهدى والنور؛ قال - تعالى - عن التوراة: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال عن الإنجيل: ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المائدة: ٤٦].

وقال عن القرآن: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ ﴾ [المائدة: ١٥]، وقال: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٥]

كما أنه – سبحانه – جعلها جميعا فرقانا بين الحق والباطل، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، وقال: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان: ١].

وصدق الله إذ يقول: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر: ٤٣].

وبعد ؛؛؛

فإن القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها ودائرة شمسها ومطلعها، أودع الله فيه علم كل شيء، وأبان فيه كل هدي وغي(1).

وقد شاءت إرادة الله – تعالى – أن أبحث في شيء يخص كتبه المنزلة ألا وهو (الكتب السماوية بين النزول مفرقا والنزول جملة واحدة) " دراسة تحليلية مقارنة "

وقد دعاني لاختيار هذا البحث أسباب؛ منها:

أولا: يذاع بين الكثير من الباحثين والدارسين أن الكتب السابقة نزلت على الأنبياء السابقين جملة واحدة، وأن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد المنزل على نبينا محمد – ﷺ – منجما فأردت من خلال هذا البحث أن أصحح هذا المفهوم الخاطئ لدى البعض ببيان أن الكتب السماوية متساوية مع بعضها البعض في نزولها منجمة.

---

(١) الاتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي: ٣٠/١، تحقيق: أحمد بن علي، ط: دار الحديث القاهرة.

ثانيا: بيان أن نزول الكتب السماوية مفرقة إنما كان لحكم سامية.

منهجي في البحث:

اعتمدت في هذا البحث على ثلاثة مناهج: المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، والمنهج المقارن.

أولا: المنهج الاستقرائي، ويتمثل في تتبع الأقوال الواردة في المسألة موضوع البحث.

ثانيا: المنهج التحليلي، ويتمثل في الرجوع إلى تفسير وتحليل الآيات المستدل بها.

ثالثا: المنهج المقارن، ويتمثل في مقارنة الأقوال وبيان الراجح منها.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة: وذكرت فيها سبب اختيار الموضوع.

المبحث الأول: ويشتمل على: تعريف التنجيم، والحكمة من نزول القرآن منجما.

المبحث الثاني: القائلون بنزول الكتب السماوية جملة واحدة وأدلتهم.

المبحث الثالث: القائلون بنزول الكتب السماوية مفرقة وأدلتهم.

المبحث الرابع: مناقشة أدلة القائلين بالنزول دفعة واحدة

المبحث الخامس: بيان الرأي الراجح وسبب ترجيحه.

ثم الخاتمة وتشتمل على أهم نتائج البحث.

ثم ذيلت البحث بفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وقد سرت في هذا البحث على الخطوات الآتية:

١- قمت بجمع الآيات القرآنية والآثار المتعلقة بالمسألة.

٢- جمعت أقوال العلماء في المسألة.

٣- قمت بوضع أدلة كل فريق تحت رأيه.

٤- قمت بمناقشة الآراء، وحكمت على الأحاديث من خلال تخريجها والحكم عليها سندا ومتنا.

٥- قمت بالترجيح بين الأقوال وذكرت سبب الترجيح.

٦- ذكرت الخاتمة وبها أهم النتائج التي توصلت إليها.

والله أسال أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه، وأن يسدد على الحق خطاي إنه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول

التنجيم وأسرار نزول القرآن منجما على نبينا - ﷺ -

معنى التنجيم لغة:

مصدر الفعل نجم بتشديد الجيم ينجم تنجيما، ومنه النجم.

"والنجم الكوكب والجمع أنجم ونجوم مثل فَلْسٍ وأَفْلُسٍ وفُلُوسٍ وكانت العرب تؤقت بطلوع النجوم؛ لأنهم ما كانوا يعرفون الحساب، وإنما يحفظون أوقات السنة بالأنواء[(١)] وكانوا يسمون الوقت الذي يحل فيه الأداء نجما تجوزا لأن الأداء لا يعرف إلا بالنجم ثم توسعوا حتى سموا الوظيفة نجما؛ لوقوعها في الأصل في الوقت الذي يطلع فيه النجم، واشتقوا منه فقالوا نجّمت الدين بالتثقيل إذا جعلته نجوما[(٢)].

---

(١) النوء: والنَّوْءُ النجم إذا مال للمَغِيب والجمع أَنْواءٌ.
ينظر: لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: ١/١٧٤، مادة (ن و أ)، ط: دار صادر - بيروت، ط: الأولى، كتاب: العين: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: ٨/٣٩١، باب: اللفيف من النّون، مادة (ن ا ء)، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، ود/ إبراهيم السامرائي)، ط: دار ومكتبة الهلال.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠هـ): ٩/١٧٢، كتاب: النون - النون مع الجيم وما يثلثهما، وينظر: المغرب في ترتيب المعرب: أبو الفتح ناصر الدين ابن عبد السيد بن علي بن المطرز، باب: النون - النون مع الجيم: ٥/١٥٧، ط: مكتبة أسامة بن زيد- حلب، ط: الأولى ١٩٧٩م، معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: ٥/٣٩٧، مادة (ن ج م)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

ونجّم عليه الدية قطعها عليه نجما نجما[1].

وتنجيم الدين: هو أن يقدر عطاؤه في أوقات معلومة متتابعة[2].

من خلال ما سبق يتضح لي: أن كلمة التنجيم معناها التفريق والتقطيع.

معني التنجيم اصطلاحا:

هو عكس النزول الجملي، فالتنجيم هو نزول القرآن على مراحل ودفعات في أوقات متعددة حسب دواعي النزول.

لقد اختار الله محمدًا - ﷺ - من جملة الناس، واصطفاه ليكون نبيه ورسوله إلى أهل الأرض عربهم وعجمهم، ... ولما كان محمد - ﷺ - مصطفى من بين الخلائق في عهده كلهم للرسالة، مميزًا عنهم بالنبوة، كان لابد أن تكون هناك طريقة معينة لوصول هذه الرسالة إليه - ﷺ - بطريق لا يشاركه فيه غيره من الناس، ولا يعلمها أحد منهم إلا بما يظهر من آثارها مما يعتريه - ﷺ - من جرائها، أو بما يلقيه إليهم النبي - ﷺ - بعد وصول الرسالة، وإبلاغه لهم بما جاءه وما نزل من القرآن عليه.

فلم ينزل القرآن على رسول الله - ﷺ - من السماء جملة واحدة، بل كان ينزل الوحي به من عند الله، مفرقًا حسب الحوادث والأحوال والتشريعات.

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ): ٤٧٠/٧، مادة (ن ج م)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠٠م.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي: ٤٧٨/٣٣، مادة (ن ج م)، ط: دار الهداية.

قال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦]

قال القاسمي – رحمه الله –: { وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ }: أي: نزلناه مفرقا منجما { لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ } أي: على مهل وتؤدة وتثبت، فإنه أيسر للحفظ وأعون في الفهم: { وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا } أي: من لدنا على حسب الأحوال والمصالح(١).

وقال الخازن – رحمه الله –: قوله – عز وجل –: { وَقُرْآناً فَرَقْناهُ } أي فصلناه وبيناه، وقيل فرقنا به بين الحق والباطل، وقيل: معناه أنزلنا نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل قوله تعالى: { لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ } أي على تؤدة وترسل(٢).

ولا شك أن في نزول القرآن منجمًا – مفرقًا – على حسب الوقائع والأحداث حِكَمًا وأسرارًا عظيمةً، كيف وذلك التنجيم ممّن أنزل القرآن وهو

---

(١) محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ): ٦/٥٢٠، المحقق: محمد باسل عيون السود، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤١٨هـ، وينظر: التفسير القرآني للقرآن: الدكتور/ عبد الكريم الخطيب: ٨/٥٦٧، ط: دار الفكر العربي – القاهرة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي: ١٥/١٨٥، ط: دار الفكر المعاصر – دمشق، ط: الثانية ١٤١٨هـ، التفسير الواضح، المؤلف: الدكتور/ محمد محمود حجازي: ٢/٤٠٠، ط: دار الجيل الجديد.

(٢) تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل): علاء الدين علي بن محمد ابن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن: ٣/١٤٩، ط: دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٥هـ.

سبحانه أعلم بما يصلح عباده ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[الملك: ١٤].

أسرار نزول القرآن على النبي - ﷺ - منجما

ذكر العلماء في هذا المجال حكما كثيرة منها:

أولاً: تثبيت قلب النبي - ﷺ -:

وتبدو هذه الحكمة واضحة جلية في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾[الفرقان: ٣٢].

أي: لنقوي به قلبك فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب، وأشد عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه وتجديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجانب العزيز، فحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة نزول جبريل – عليه السلام –(١).

عن ابن عباس قال: كان رسول الله – ﷺ – أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فرسول الله – ﷺ – أجود بالخير من الريح المرسلة(٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله –: "لأنه كلما نزل عليه شيء من القرآن ازداد طمأنينةً وثباتًا، وخصوصًا عند ورود أسباب القلق؛

---

(١) جامع لطائف التفسير: عبد الرحمن بن محمد القماش إمام وخطيب بدولة الإمارات العربية – عفا الله عنه وغفر له –: ١٩/٤.

(٢) أخرجه الامام البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله – ﷺ –: ٦/١، رقم (٦)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: كان النبي – ﷺ – أجود الناس بالخير: ١٨٠٣/٤، رقم (٢٣٠٨).

فإن نزول القرآن عند حدوث السبب، يكون له موقع عظيم، وتثبيت كثير، أبلغ مما لو كان نازلا قبل ذلك ثم تذكره عند حلول سببه.

{ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا } أي: مهلناه ودرجناك فيه تدريجًا، وهذا كله يدل على اعتناء الله بكتابه القرآن، وبرسوله محمد - ﷺ -، حيث جعل إنزال كتابه جاريًا على أحوال الرسول ومصالحه الدينية" [(١)].

ثانيًا: من حكم نزول القرآن منجما: التدرج في التشريع لمراعاة النفوس:

لقد كان القرآن الكريم بادئ ذي بدء يتناول أصول الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء وجنة ونار، ويقيم على ذلك الحجج والبراهين حتى يستأصل من نفوس المشركين العقائد الوثنية ويغرس فيها عقيدة الإسلام.

وكان يأمر بمحاسن الأخلاق التي تزكو بها النفس ويستقيم عوجها، وينهى عن الفحشاء والمنكر ليقتلع جذور الفساد والشر، ويبيِّن قواعد الحلال والحرام التي يقوم عليها صرح الدين، وترسو دعائمه في المطاعم والمشارب والأموال والأعراض والدماء.

ثم تدرج التشريع بالأمة في علاج ما تأصل في النفوس من أمراض اجتماعية بعد أن شرع لهم من فرائض الدين وأركان الإسلام ما يجعل قلوبهم عامرة بالإيمان، خالصة لله، تعبده وحده لا شريك له.

كما كان القرآن يتنزل وفق الحوادث التي تمر بالمسلمين في جهادهم

---

(١) تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر ابن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ): ١/٥٨٢، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

الطويل لإعلاء كلمة الله[1].

قال السيوطي - رحمه الله - عن القرآن: فإنه أدعى إلى قبوله إذا نزل على التدريج بخلاف ما لو نزل جملة واحدة، فإنه كان ينفر من قبوله كثير من الناس؛ لكثرة ما فيه من الفرائض والمناهي.

ويوضح ذلك ما أخرجه البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: " إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصَّل[2] فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء: (لا تشربوا الخمر) لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل: (لا تزنوا) لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا " [3][4].

لأن الناس ما كانوا ليُقبلوا على هذا الدين الجديد لولا أن القرآن

---

(١) مباحث في علوم القرآن: مناع القطان: ١/١١١، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط: الثالثة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٢) المفصل: هو أواخر القرآن واختلفوا في تعيين أوله على اثني عشر قولا فقيل أوله ق وقيل غير ذلك وصحح النووي أن أوله الحجرات. وسمي بالمفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة وقيل لقلة المنسوخ منه ولهذا يسمى المحكم أيضا.
ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، المؤلف: محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ): ١/٣٥٢، ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الثالثة، مباحث في علوم القرآن المؤلف: مناع القطان ص ١٤٦، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط: الثالثة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٣) أخرجه الامام البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن: ٤/١٩١٠، رقم (٤٧٠٧) جزء من الحديث.

(٤) الاتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي: ١/١٢٣.

عالجهم بحكمة، وأعطاهم من دوائه الناجع جرعات يستطبون بها من الفساد والرذيلة، فكلما حدثت حادثة بينهم نزل الحُكم فيها ينير لهم ظلامها، ويرشدهم إلى الهدى، ويضع لهم أصول التشريع حسب المقتضيات، فكان هذا تطِيبياً لقلوبهم.

ثالثًا: مجاراة الوقائع:

فقد نزل وفق الأحداث وجواب الأسئلة وما يحتاجون من تشريعات، روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس – ﵄ – في نزول القرآن قوله: "فكان المشركون إذا أحدثوا شيئًا أحدث الله لهم جوابًا" [(١)].

قال الزركشي: "ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت نزوله منجمًا بسبب الوقائع لأهبطه الله إلى الأرض جملة" [(٢)].

وقال السيوطي: "ومنه ما هو إنكار على قولٍ قيل، أو فعلٍ فُعل" [(٣)].

رابعًا: تيسير حفظه وفهمه على النبي - ﷺ - وأصحابه:

إن القرآن الكريم نزل على أمة أمية لا تعرف الكتابة ولا القراءة، سِجِلّها ذاكرةٌ حافظة، وما كان للأمة الأمية أن تحفظ القرآن كله بيسر وسهولة لو كان نزوله جملة واحدة، فكان نزوله عليهم هكذا مفرقًا خير عون لهم على حفظه في صدورهم وفهم آياته، والالتزام بتعاليمه[(٤)].

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه الى ابن أبي حاتم: ٩/٤٥٧.

(٢) البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ): ١/٢٣٠، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط: الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: ١/١٢١.

(٤) ينظر: علوم القرآن الكريم: نور الدين محمد عتر الحلبي ص ٣٣، الناشر: =

خامسًا: إمكان الناسخ والمنسوخ:

وقبل الحديث عن هذه الحكمة أبين معنى النسخ فأقول وبالله التوفيق

النسخ لغة: الإزالة. يقال: نسخت الشمس الظّل، أي أزالته. ويأتي بمعنى التبديل والتحويل.

اصطلاحاً: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر. فالحكم المرفوع يسمى: المنسوخ، والدليل الرافع يسمى: الناسخ، ويسمى الرفع: النسخ.

فعملية النسخ على هذا تقضي منسوخاً وهو الحكم الذي كان مقرراً سابقاً، وتقتضي ناسخاً، وهو الدليل اللاحق(١).

قال القرطبي – ﷺ –: "ولو نزل جملة واحدة لزال معنى التنبيه وفيه ناسخ ومنسوخ، فكانوا يتعبدون بالشيء إلى وقت بعينه قد علم الله – ﷻ – فيه الصلاح، ثم ينزل النسخ بعد ذلك، فمحال أن ينزل جملة واحدة: افعلوا كذا ولا تفعلوا" (٢).

= مطبعة الصباح – دمشق، ط: الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

(١) ينظر: المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره: الدكتور/ محمد علي الحسن، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة ص ١٨٥، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن: مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي ص ٢٢، تحقيق: سامي عطا حسن، ط: دار القرآن الكريم – الكويت ١٤٠٠هـ، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن: عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد ص ٢٠٥، ط: دار البيان العربي – القاهرة.

(٢) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ): ١٣/٢٩، =

وقال السيوطي – رحمه الله –: "وإنما لم ينزل جملة واحدة؛ لأن منه الناسخ والمنسوخ"[1].

فقد شاءت حكمة الله أن ينسخ من كتابه التلاوة أو الحكم أو هما معا؛ تدرجا من السهل إلى الصعب؛ للترقي بالأمة إلى مدارج الكمال، أو انتقالا من الصعب إلى السهل – وهو الكثير – تخفيفا على الأمة وتيسيرا عليها، ولا يأتي النسخ إلا فيما نزل مفرقا وتفاوتت بينه الأزمان.

سادسًا: الدلالة على إعجاز القرآن الكريم وثبات مصدره، وأنه كلام الله وحده وأنه لا يمكن أن يكون كلام محمد - ﷺ - ولا كلام مخلوق سواه:

فقد تحدى المشركين أن يأتوا بمثله فعجزوا، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨]. وتحداهم أن يأتوا بعشر سور فعجزوا، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [هود: ١٣] وتحداهم أن يأتوا بسورة فعجزوا، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨].

فنزوله مفرقًا من أقوى الأدلة على أنه مُعجز وأنه كلام الله، وبذلك ثبت عليهم العجز الأبدي عن معارضته أو الاتيان بمثله.

= تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

(١) الإتقان في علوم القرآن: ١/١٢١.

سابعا: الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد:

لقد نزل القرآن منجمًا في أكثر من عشرين عامًا، تنزل الآية والآيات على فترات من الزمن، لكن يقرؤه الإنسان ويتلو سوره فيجده محكم النسج، دقيق السبك، مترابط المعاني، رصين الأسلوب، متناسق الآيات والسور، ولو كان هذا القرآن من كلام البشر، وقيل في مناسبات متعددة، ووقائع متتالية، وأحداث متعاقبة، لوقع فيه التفكك والانفصام، واستعصى أن يكون بينه هذا التوافق والانسجام. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] فأي منصف يرى هذه الحكمة خير دليل على أن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد.

فأحاديث رسول الله - ﷺ - وهي في ذروة الفصاحة والبلاغة بعد القرآن الكريم- لا تنتظم حباتها في كتاب واحد سلس العبارة يأخذ بعضه برقاب بعض في وحدة وترابط بمثل ما عليه القرآن الكريم أو ما يدانيه اتساقًا وانسجامًا. فكيف بكلام سائر البشر وأحاديثهم: ﴿ لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨][١].

---

(١) مباحث في علوم القرآن: مناع القطان ص ١١٧، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط: الثالثة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م، وينظر: المحرر في علوم القرآن: د/ مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار ص٧٧، الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط: الثانية ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

المبحث الثاني

القائلون بنزول الكتب السماوية جملة واحدة وأدلتهم

أجمع المسلمون على نزول القرآن منجما، وهو يتوافق مع صريح قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢]، بيد أنهم قد اختلفوا في نزول الكتب السماوية السابقة هل كان نزولها جملة واحدة أو منجمة ؟

فأقول، وبالله التوفيق:

تعرض عدد من العلماء المتقدمين والمتأخرين لهذه المسألة، ما بين قائل بنزول الكتب السماوية جملة واحدة، وما بين قائل بنزولها منجمة والذي يعنيني في هذا المبحث هم القائلون بالنزول جملة واحدة، وسيأتي إن شاء الله في المبحث الثاني ذكر القائلون بالنزول منجما وأدلتهم

وممن ذهب إلى ذلك الامام السيوطي: (ت ٩١١هـ) وقد وافقه على هذا عدد من العلماء منهم من تقدم السيوطي:

الطبري: (ت ٣١٠هـ) عند تفسيره لآية الفرقان[1] قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢]، أبو الليث السمرقندي (ت ٣٧٣هـ)[2]، محمد بن عبدالله

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ): ٤٤٥/١٧، ط: دار هجر.

(٢) بحر العلوم أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ): ٤٣٨/١.

ابن أبي زمنين (ت ٣٩٩هـ)[١]، الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)[٢]، أبو المظفر السمعاني (ت ٤٨٩هـ)[٣]، البغوي (ت ٥١٠هـ)[٤]، الرازي (ت ٦٠٦هـ)[٥]، القرطبي (ت ٦٧١هـ)[٦]، والنسفي (ت ٧١٠ هـ)[٧]، الخازن (ت ٧٤١هـ)[٨] وغير هؤلاء كثير.

وقال السيوطي: إنما لم يَنْزِل جُملةً واحدةً لأَنَّ منه الناسخ والمنسوخ،

---

(١) تفسير القرآن العزيز أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت ٣٩٩هـ): ٤٧٩/١، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، ط: الفاروق الحديثة – مصر / القاهرة، ط: الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

(٢) الكشف والبيان أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابورى: ١٣٢/٧، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٢هـ.

(٣) تفسير القرآن أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (٤٢٦هـ – ٤٨٩هـ): ٤٩٧/١، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، غنيم بن عباس بن غنيم، ط: دار الوطن – الرياض ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

(٤) معالم التنزيل: ٨٣/٦.

(٥) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للإمام: محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي: ٤٥٧/٢٤، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ٢٨/١٣.

(٧) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر ابن محمد الشيرازي البيضاوي: ٤٤٤/٢، ط: دار الفكر – بيروت.

(٨) لباب التأويل في معاني التنزيل علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ): ٣١٣/٣، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ.

ولا يتأتى ذلك إلا فيما أُنزِلَ مفرقاً، ومنه ما هو جوابٌ لسؤالٍ، وما هو إنكارٌ على قولٍ قيلَ، أو فعلٍ فُعِلَ)[1].

ثم قال السيوطي: (ما تقدم في كلام هؤلاء من أن سائر الكتب أنزلت جملة هو مشهور في كلام العلماءِ، وعلى ألسنتهم حتى كادَ يكونُ إجماعاً)[2].

أدله القائلين بنزول الكتب جملة واحدة:

أولا: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٣٢] فهذه الآية منهم دليل على نزول الكتب السماوية السابقة جمله واحدة.

قال الطبري - ﷺ -: هلا نزل على محمد - ﷺ - القرآن { جُمْلَةً وَاحِدَةً } كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة ؟[3]

وقال الزمخشري: هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة، وماله أنزل على التفاريق[4].

ثانيا:

(أ) إن الله تعالى لم يكذبهم فيما ادعوا من نزول الكتب السماوية جملة بل أجابهم ببيان الحكمة في نزول القرآن مفرقا، ولو كان نزول الكتب السماوية مفرقا كالقرآن لرد عليهم بالتكذيب، وبإعلان أن التنجيم هو

---

(١) ينظر: الاتقان في علوم القرآن: ١/١٢١.
(٢) الإتقان: ١/١٢٢.
(٣) جامع البيان: ١٧/٤٤٥، ط: دار هجر.
(٤) الكشاف: ٣/٢٧٨.

سنة الله فيما أنزل على الأنبياء من قبل كما رد عليهم بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ﴾ [الفرقان: ٢٠]. حين طعنوا على الرسول وقالوا: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧] (١).

وكذلك لما قالوا: ﴿هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ [الأنبياء: ٣] فردّ عليهم: بأن سنته ألّا يرسل رسلا إلّا من البشر فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

وهنا عدل سبحانه عن ذلك إلى بيان الحكمة من نزول القرآن منجما وهذا دليل على إقراره لكلامهم.

(ب) لو كان نزول الكتب السماوية السابقة مفرقا لما كان هناك ما يدعو الكفار إلى التعجب من نزول القرآن منجما.

ثالثا: قوله تعالى - في إنزاله التوراة على موسى - عليه السلام - يوم الصّعقة -: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤ - ١٤٥].

(١) مناهل العرفان: ٥٣/١، وينظر: نزول القرآن وتاريخه وما يتعلق به للدكتور/ محمد عمر حويه: ٢٢/١.

وقوله: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧١]، والمراد بالألواح: الألواح التي كتبت فيها التوراة.

فهذه الآيات دالة على إنزاله- سبحانه- التوراة على «موسى» جملة.

رابعا: وهناك آثار عن ابن عباس تفيد نزول «التوراة» جملة واحدة؛ منها:

١- ما أخرجه النسائي وغيره عن ابن عباس - ﷺ - في حديث الفتون قال: وَأَخَذَ الْأَلْوَاحَ بَعْدَمَا سكتَ عَنْهُ الْغَضَبُ، فَأَمَرَهُمْ بِالَّذِي أُمِرَ بِهِ أَنْ يُبَلِّغَهُمْ مِنَ الْوَظَائِفِ، فَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَأَبَوْا أَنْ يُقِرُّوا بِهَا، فَنَتَقَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَبَلَ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ، وَدَنَا مِنْهُمْ حَتَّى خَافُوا أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِمْ، فَأَخَذُوا الْكِتَابَ بِأَيْمَانِهِمْ وَهُمْ مُصْطَفُّونَ يَنْظُرُونَ إِلَى الْجَبَلِ وَالْكِتَابُ بِأَيْدِيهِمْ، وَهُوَ مِنْ وَرَاءِ الْجَبَلِ مَخَافَةَ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِمْ[١].

وإذا كانت التوراة، وهي أعظم الكتب السماوية السابقة، وأكثرها أحكاما وهداية، وقد ثبت نزولها جملة واحدة، فأحرى بغيرها من الكتب السماوية -كالإنجيل والزبور وصحف إبراهيم - أن تكون قد نزلت جملة واحدة، وآية (الفرقان) - كما ذكرنا- تدلّ على هذا التعميم وتؤيده[٢].

---

(١) أخرجه الامام النسائي في السنن الكبرى، كتاب: التفسير، باب: سورة طه: ٣٩٦/٦، رقم (١١٣٢٦)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده: ١٢١/٣، مسند ابن عباس، وقال حسين سليم أسد: رجاله ثقات.

(٢) الاتقان في علوم القرآن: ١٢٣/١، وينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم للأستاذ الدكتور/ محمد بن محمد أبو شهبة ص ٥٩، ط: مكتبة السنة، ط: الجديدة.

٢- أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قالت اليهود: يا أبا القاسم لولا أنزل هذا القرآن جملةً واحدةً كما أنزلت التوراة على موسى ؟ فنَزَلَتْ[١].

٣- وأخرج نحوه عن قتادة والسدي[٢].

٤- وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباسٍ قال: أعطي موسى التوراة في سبعة ألواحٍ من زبرجد فيها تبيان لكل شيء وموعظة، فلما جاء بها فرأى بني إسرائيل عكوفاً على عبادة العجلِ رمى بالتوراةِ من يده فتحطمت، فرفع الله منها ستة أسباعٍ وبقي منها سبعٌ[٣].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم بسند عن عبد الرحمن بن عمر بن رسته الاصبهاني، ثنا ابن مهدي، ثنا أبو سلمة، عن حكيم بن جبير، عن سعيد ابن جبير وفيه ... فقالت اليهود: يا أبا القاسم لولا انزل هذا القران جملة واحدة كما انزلت التوراة على موسى، فأنزل الله: { كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا * وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا } وقرا: { وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ }. ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٦٨٩/٨، رقم (١٥١٢٧).

(٢) قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن يحيى، انبا العباس بن الوليد، ثنا يزيد بن زريع، ثنا سعيد عن قتادة: وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة كما انزل على موسى وكما انزل على عيسى – عليهم السلام –: ٢٦٨٩/٨، رواية رقم (١٥١٢٨).

وعن السدي: وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة قال: هلا جاء به كما جاء به موسى – صلى الله عليهما –. ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٦٩٠/٨، رواية رقم (١٥١٣١).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم: ١٥٦٢/٥، رقم (٨٩٥٧). بسند: حدثنا أبو سعيد بن يحيى ابن سعيد القطان، ثنا يونس بن بكير حدثني محمد بن اسحاق، حدثني صدقة =

٥- وأخرج ابن أبي حاتم قال حدثنا أبى، ثنا علي بن ميمون، ثنا خالد بن حبان، عن جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج في قول الله: كانه ظلة قال: جاءتهم التوراة جملة واحدة فكبر عليهم، فأبوا أن يأخذوه حتى ظلل الله عليهم الجبل فأخذوه عند ذلك(١).

فهذه آثارٌ صريحةٌ في إنزالِ التوراةِ جُملةً) (٢).

وما ذكره السيوطي والزرقاني، نقله أبو شهبة في كتابه: المدخل إلى دراسة القرآن الكريم ... والأدلة التي ذكرها السيوطي كلها تتعلق بالتوراة، وليس فيها دلالة على نزول غيرها من الكتب السابقة جملة، وقد ألحقها بها الشيخ محمد أبو شهبة فقال: (وإذا كانت التوراة وهي أعظم الكتب السماوية السابقة، وأكثرها أحكاماً وهداية، وقد ثبت نزولها جملة واحدة، فأحر بغيرها من الكتب السماوية – كالإنجيل والزبور وصحف إبراهيم – أن تكون قد نزلت جملة واحدة، وآية الفرقان كما ذكرنا تدل على هذا التعميم وتؤيده)(٣).

= ابن يسار، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: اعطى الله موسى التوراة في سبعة الواح من زبرجد فيها تبيان لكل شيء ... الحديث.

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ٥/١٦١٠، رواية رقم (٨٥١٩) وسوف يأتي الحكم على هذه الأسانيد في المبحث الثالث إن شاء الله تعالى.

(٢) ينظر: الإتقان للسيوطي: ١/١٣٤ – ١٣٦، ط: مصطفى ديب البغا – دار ابن كثير، المدخل إلى دراسة القرآن الكريم ص ٥٧.

(٣) المدخل ص ٥٨، وينظر: اللالىء الحسان في علوم القرآن لموسى لاشين ص ١٦، ط: دار التأليف، مصر الجديدة، علوم القرآن الكريم لنور الدين عتر ص ١٨، ط: الصباح، دمشق.

خامسا: دلالة الألفاظ اللغوية: جاء التعبير عن القرآن بلفظ نزل لأنها تفيد التنجيم، واستعمل في الكتب السابقة أنزل قال تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران: ٣].

قال ابن كثير: وقال في القرآن: { نزّل }؛ لأنه نزل مفرقا منجما على الوقائع، بحسب ما يحتاج إليه العباد في معادهم ومعاشهم، وأما الكتب المتقدمة فكانت تنزل جملة واحدة(١).

(ويدل التعبير بلفظ التنزيل دون الإنزال على أن المقصود النزول على سبيل التدرج والتنجيم، فإن علماء اللغة يُفَرِّقون بين الإنزال والتنزيل، فالتنزيل لما نزل مفرقًا، والإنزال أعم(٢).

قال أبو هلال العسكري: الفرق بين الانزال والتنزيل: قال بعض المفسرين: الانزال: دفعي، والتنزيل: للتدريج.

قلت: ويدلك عليه قوله تعالى: { نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ } حيث خص القرآن بالتنزيل؛ لنزوله منجما، والكتابين بالإنزال لنزولهما دفعة.

وأما قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [الكهف: ١] فالمراد هناك مطلقا من غير اعتبار التنجيم، وكذا قوله تعالى:

---

(١) تفسير ابن كثير تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠ – ٧٧٤هـ): ٢/٤٣٤، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

(٢) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان: ١٠٦/١، وينظر: نزول القرآن وتاريخه وما يتعلق به: ٢٠/١.

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ [القدر: ١] فإن المراد إنزاله إلى سماء الدنيا، تم تنزيله منجما على النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين كما وردت به الروايات(١).

فعلى هذا الدليل يكون القرآن انفرد بهذا اللفظ " نزل " لأنه منجم، وأما الكتب السابقة فعبر عنها بغير ذلك دليل على إنزالها جملة.

هذه هي الأدلة التي ذكرها الإمام السيوطي لنزول الكتب السماوية جملة واحدة.

---

(١) الفروق اللغوية لابي هلال العسكري ص ٧٩، ط: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.

المبحث الثالث

القائلون بنزول الكتب السماوية السابقة مفرقة وأدلتهم

بعد ذكر رأي القائلين بنزول الكتب السماوية جملة واحدة، وانفراد القرآن بصفة التنجيم، وذكر أدلتهم يأتي الحديث في هذا المبحث عن الرأي القائل بنزول الكتب السماوية منجمة وأدلة ذلك

فممن ذهب إلى هذا الرأي بعض فضلاء عصر الإمام السيوطي وبشهادته؛ فقد فقال رأيت بعض فضلاء العصر أنكر ذلك – النزول جملة واحدة –،

ومن أشهر من قال بالنزول منجما: الامام البقاعي (ت ٨٨٥هـ)[١]، والشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)[٢]، وصاحب المنار الشيخ محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)[٣]، والقاسمي (ت ١٣٣٢هـ)[٤]، والطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)[٥]، والشيخ المراغي[٦].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ل برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: ٣٧٠/٢، تحقيق: عبد الرزاق غالب، ط: دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

(٢) فتح القدير: ٢٧٤/٥.

(٣) تفسير المنار: ١٦٤/٩.

(٤) محاسن التاويل: ٤٢٧/٧.

(٥) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ): ٣١٤/٤، ط: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

(٦) تفسير المراغي: ١٢/١٩.

أدلة القائلين بالنزول المنجم للكتب السماوية السابقة:

أولا الأدلة من القرآن:

١- قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٥٣].

قال الامام البقاعي الذي يرى أن الكتب السماوية السابقة كالتوراة وغيرها نزلت مفرقة كالقرآن الكريم عند تفسيره لهذه الآية: " ولَمَّا أخبر تعالى بما على المُفَرِّقين بين الله ورسله، وما لأضدادهم أتبعه بعض ما أرادوا به الفرقة، وذلك أن كعب بن الأشرف وفنحاص بن عازورا من اليهود قالا كذباً: إن كنت نبياً فأتنا بكتابٍ جُملةً من السماءِ نعاينه حين يَنْزِلُ - كما أتى موسى - عليه الصلاة والسلام - بكتابه كذلك، فأنزل الله تعالى موبخاً لهم على هذا الكذب مشيراً إلى كذبهم فيه موهياً لسؤالهم محذراً من غوائله مبيناً لكفرهم بالله ورسله: { يسألك }. ولما كانت هذه من أعظم شبههم التي أضلوا بها من أراد الله، وذلك أنهم رأوا أن هذا الكتاب المبين أعظم المعجزات، وأن العرب لم يمكنهم الطعن فيه على وجه يمكن قبوله، فوجهوا مكايدهم نحوه بهذه الشبهة ونحوها، زيفها سبحانه وتعالى أتم تزييف، وفضحهم بسببها غاية الفضيحة ".

ثم قال: " وما أوهموا به في قولهم هذا من أن موسى - عليه الصلاة والسلام - أتى بالتوراة جُملةً كِذبةٌ تلقَّفها منهم مَنْ أراد الله تعالى مِنْ أهل الإسلام؛ ظناً منهم أن الله تبارك وتعالى أَقَرَّهُم عليها، وليس كذلك - كما

يُفهمهُ السياقُ كُلُّهُ، ويأتي ما هو كالصريح فيه(١).

٢- قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ [النساء: ١٦٣].

يقول الطاهر ابن عاشور: والتشبيه في قوله: { كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ } تشبيه بجنس الوحي وإن اختلفت أنواعه، فإن الوحي إلى النبي - ﷺ - كان بأنواع من الوحي ورد بيانها في حديث عائشة في الصحيح عن سؤال الحارث بن هشام النبي - ﷺ - كيف يأتيك الوحي(٢) بخلاف الوحي إلى غيره ممن سماهم الله تعالى فإنه يحتمل بعضا من الأنواع، على أن الوحي للنبي - ﷺ - كان منه الكتاب القرآن ولم يكن لبعض من ذكر معه كتاب.

وعد الله هنا جمعا من النبيين والمرسلين وذكر أنه أوحى إليهم ولم

---

(١) نظم الدرر: ٣٤٥/٢، وينظر: تفسير الزمخشري: ٥٨٤/١، تفسير الفخر الرازي: ٢٥٦/١١، تفسير البيضاوي: ١٠٦/٢، ولم أقف عليه مسندا.

(٢) عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن الحارث بن هشام - رضي الله عنه - سأل رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله - ﷺ -: (أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول)، قالت عائشة - رضي الله عنها - ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا. والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله - ﷺ -: ٤/١، رقم (٢)، وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: طيب عرق النبي - ﷺ - في البرد وحين يأتيه الوحي: ١٨١٦/٤، رقم (٢٣٣٣).

يختلف العلماء في أن الرسل والأنبياء يوحى إليهم[1].

فالآية تنص على تشبيه الوحي إليه - ﷺ - بالوحي إلى الأنبياء السابقين فهم جميعا يتفقون في كيفية إنزال الوحي، فالآية تدل على المساواة بينهم وبينه في صفة الوحي.

قال القاسمي: فإن تفريق الوحي وتمديد مدته بديهي الثبوت لمقدار مكث النبي؛ إذ ما دام بين ظهراني قومه، فالوحي يتوارد تنزله ضرورة، والله أعلم [2].

٣- قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤] أي على التدريج شيئاً فشيئاً بحسب المصالح من غير واسطة ملك، فلا فرق في الوحي بين ما كان بواسطة وبين ما كان بلا واسطة [3].

والمعنى أنكم لو كنتم إنما تتوقفون عن الإيمان ببعض الأنبياء تثبتاً لتعلموا أنه فعل به ما فعل بموسى - عليه الصلاة والسلام - من الكرامة، لم تؤمنوا بإبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط وهارون وغيرهم، فإنه خص بالتكليم دونهم، فلِمَ جعلتم الإتيان بمثل ما أتى به موسى - عليه الصلاة والسلام - شرطاً في الإيمان ببعض الأنبياء دون بعض ؟ وإن جعلتم الشرط الإتيان بالكتاب جملة ومن السماء مدعين أنه كان له ذلك دون التكليم وغيره مما جعل له، كان ذلك - على تقدير التسليم تنزلاً - تحكماً وترجيحاً

---

(١) التحرير والتنوير: ٣١٤/٤.

(٢) محاسن التأويل للقاسمي: ٤٢٧/٧.

(٣) تفسير السراج المنير محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين: ٢٧٧/١، ط: دار الكتب العلمية - بيروت.

من غير مرجح، على أن التوراة أيضاً كهذا القرآن في إنزالها منجمة على حسب الوقائع على ما أشار إليه قوله (تكليماً) ولم يكتب منها جملة إلا اللوحان اللذان وضعا في تابوت الشهادة كما أنزل بعض سور القرآن جملة كسورة الأنعام، وليس في نزول موسى – عليه الصلاة والسلام – بهما من جبل الطور مكتوبَين دليل على نزولهما من السماء[1].

ثانيا: الآثار المفيدة انزالها ـ التوراة ـ منجمة:

من ذلك ما جاء في قصة البقرةِ التي ذبحوها لأجلِ القتيلِ الذي تدارؤا فيه: وذلك قبل نزول القَسَامَةِ في التوراة[2].

ونص القصة:

قال ابن أبي حاتم–: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا يزيد ابن هارون، أنبأنا هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن عبيدة السلماني، قال: كان رجل من بني إسرائيل عقيمًا لا يولد له، وكان له مال كثير، وكان ابن أخيه وارثه، فقتله ثم احتمله ليلا فوضعه على باب رجل منهم، ثم أصبح يدعيه عليهم حتى تسلحوا، وركب بعضهم إلى بعض، فقال ذوو الرأي منهم والنهى: علام يقتل بعضكم بعضًا وهذا رسول الله فيكم؟ فأتوا موسى، – عليه السلام –، فذكروا ذلك له، فقال: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } قال: فلو لم

(١) نظم الدرر: ٢/٣٧٠.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير: ١/٢٩٤، تفسير البغوي: ١/١٠٦، تفسير القرطبي: ١/٤٤٦، السراج المنير: ١/٦٥، تفسير روح البيان: ١/١٦٥، فتح الرحمن في تفسير آي القرآن: ١/١٢٤، حدائق الروح والريحان: ١/٤٨٢.

يعترضوا [البقر] لأجزأت عنهم أدنى بقرة، ولكنهم شددوا فشدد عليهم، حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها، فقال: والله لا أنقصها من ملء جلدها ذهبا، فأخذوها بملء جلدها ذهبًا فذبحوها، فضربوه ببعضها فقام فقالوا: من قتلك ؟ فقال: هذا، لابن أخيه. ثم مال ميتًا، فلم يعط من ماله شيئًا، فلم يورث قاتل بعد [(١)].

فهذا الأثر يفيد نزول التوراة منجمة لأن الحكم كان أن تذبح بقرة ويضرب القتيل بجزء منها فيحيا ويخبر بقاتله، وكان ذلك قبل نزول القسامة في التوراة.

وصفة القسامة: أن يحلف الأولياء خمسين يمينا أن فلانا قتل ولينا فلانا أو أنه ضربه، ومن ضربه مات إن كان قد عاش بعد ذلك، ويقتصر على قوله بالله الذي لا إله غيره[(٢)].

وقيل هي: (وإذا وجد القتيل في محلة لا يعلم من قتله استحلف خمسون رجلا منهم يتخيرهم الولي فيحلفون بالله ما قتلناه ولا علمنا له قاتلا)[(٣)].

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٤٠٣/١، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وابن جرير، ينظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٤/١، فتح القدير للشوكاني: ١٢٠/١، التفسير المنير للزحيلي: ١٨٨/١، صفوة التفاسير للصابوني: ٣٨/١.

(٢) ينظر: الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة لمحمد علاء الدين بن علي الحصكفي (ت ١٠٨٨هـ): ٦٢٦/٦، ط: دار الفكر – بيروت ١٣٨٦هـ.

(٣) ينظر: المبسوط لمحمد بن الحسن بن فرقد الشيباني أبو عبدالله: ٤٧٤/٤، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، ط: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، متن بداية المبتدي في =

ثالثا: أقوال الأئمة المفسرين المفيدة للنزول منجما:

١- قال القاسمي ردا على من قال بالنزول جملة واحدة:

يذكر المفسرون هاهنا أن الآية ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٣٢] رد على الكفرة في طلبهم نزول القرآن جملة، كنزول بقية الكتب جملة.

والحال أن القول بنزولها دفعة واحدة لا أصل له، وليس عليه أثارة من علم، ولا يصححه عقل. فإن تفريق الوحي وتمديد مدته بديهي الثبوت؛ لمقدار مكث النبي. إذ ما دام بين ظهراني قومه، فالوحي يتوارد تنزله ضرورة، والله أعلم (١).

ثم قال – ﷺ – اعلم أنه تعالى لما حكى أن اليهود سألوا رسول الله – ﷺ – أن ينزل عليهم كتابا من السماء، وذكر تعالى بعده أنهم لا يسألون

= فقه الإمام أبي حنيفة لبرهان الدين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني: ٢٥٥/١، ط: مكتبة ومطبعة محمد علي صبح – القاهرة، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ لعثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (ت ٧٤٣هـ) الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد ابن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (ت ١٠٢١هـ): ٦١/١٨، ط: المطبعة الكبرى الأميرية – بولاق/ القاهرة، ط: الأولى ١٣١٣هـ، مختصر القدوري في الفقه الحنفي لأحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان أبو الحسين القدوري (ت ٤٢٨هـ): ١٩٢/١، ط: دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، المبسوط لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣هـ): ١٠٦/٢٦، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

(١) محاسن التأويل للقاسمي: ٤٢٧/٧.

استرشادا، ولكن للتعنت واللجاج، وبين أنواعا من فضائحهم - أشار إلى رد شبهتهم، فاحتج عليهم بأنه ليس بدعا من الرسل، وأمره في الوحي كسائر الأنبياء الذين يوافقون على نبوتهم، ولم ينزل على كل واحد منهم كتاب بتمامه مثل ما أنزل على موسى، وإذا لم يكن هذا من شرط النبوة، وضح أن سؤالهم محض تعنت[1].

٢- ممن رد على من قال بالنزول جملة واحدة: الطاهر ابن عاشور:

وكذلك ممن ردَّ القول بأن الكتب السابقة نزلت جملة واحدة، ما ذكره الشيخ ابن عاشور، في معرض بيانه حول مفردتي (أنزل) و (نزّل) الذي تتابع النقلة عليها دون تحرير فقال:

(والتضعيفُ في (نَزَّلَ) للتعدية، فهو يساوي الهمز في أنزل، وإنما التضعيف يُؤذِن بقوة الفعل في كيفيته أو كميته، في الفعل المتعدي بغير التضعيف، من أجل أنهم قد أتوا ببعض الأفعال المتعدية، للدَّلالة على ذلك؛ كقولهم: فسَر وفسَّر، وفرَق وفرَّق، وكسَر وكسَّر، كما أتوا بأفعال قاصرة بصيغة المضاعفة، دون تعدية؛ للدلالة على قوة الفعل.

كما قالوا: مات وموت وصاح وصيح. فإما إذا صار التضعيف للتعدية فلا أوقن بأنه يدل على تقوية الفعل، إلا أن يقال: إن العدول عن التعدية بالهمز، إلى التعدية بالتضعيف، بقصد ما عهد في التضعيف من تقوية معنى الفعل.

---

(١) محاسن التأويل: ٣/٤٤٨.

فيكون قوله: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [آل عمران: ٣] أهم من قوله: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ على عظم شأن نزول القرآن، ..، ووقع في "الكشاف"، هنا وفي مواضع متعددة، أن قال: إن نزّل يدل على التنجيم وإن أنزل يدل على أن الكتابين أنزلا جملة واحدة وهذا لا علاقة له بمعنى التقوية المدعى للفعل المضاعف، إلا أن يعني أن نزل مستعمل في لازم التكثير، وهو التوزيع ورده أبو حيان بقوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢]

نزل عليك القرآن جملة واحدة فجمع بين التضعيف وقوله: (جُمْلَةً وَاحِدَةً).

وأزيد أن التوراة والإنجيل نزلا مفرقين كشأن كل ما ينزل على الرسل في مدة الرسالة، وهو الحق؛ إذ لا يعرف أن كتابا نزل على رسوله دفعة واحدة. والكتاب: القرآن. والباء في قوله (بِالْحَقِّ) للملابسة، ومعنى ملابسته للحق اشتماله عليه في جميع ما يشتمل عليه من المعاني قال تعالى وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ)[1].

٣- وممن ذهب الى القول بنزولها منجمة كالقرآن "صاحب المنار" فقال ما نصه:

قال بعض المفسرين: إن الألواح كانت مشتملة على التوراة، وقال بعضهم بل كانت قبل التوراة،

والراجح أنها كانت أول ما أوتيه من وحي التشريع فكانت أصل التوراة الإجمالي، وكانت سائر الأحكام التفصيلية من العبادات والمعاملات الحربية

(١) التحرير والتنوير: ٣/٩.

والمدنية والعقوبات تنزل عليه، ويخاطبه الرب تعالى بها في أوقات الحاجة إليها كالقرآن[1].

٤- وممن قال بالنزول - الكتب السماوية - منجمة الشيخ المراغي، والشوكاني - رحمهما الله - فقالا ما نصه:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ أي وقال اليهود: هلا أنزل القرآن على محمد دفعة واحدة كما أنزلت الكتب السالفة على الأنبياء كذلك، وهذا زعم باطل، ودعوى داحضة، فإن هذه الكتب نزلت متفرقة فقد أنزلت التوراة منجمة في ثماني عشرة سنة كما تدل على ذلك نصوص التوراة، وليس هناك دليل قاطع على خلاف ذلك من كتاب أو سنة كما نزل القرآن، لكنهم معاندون أو جاهلون لا يدرون كيف نزلت كتب اللّه على أنبيائه[2].

---

(١) تفسير المنار: ١٦٤/٩، التفسير الوسيط لفضيلة الامام الأكبر محمد سيد طنطاوي: ٣٧٤/٥.

(٢) تفسير الشيخ المراغي: ١٢/١٩، فتح القدير: ٢٧٤/٥، وينظر: فتح البيان: ٣٠٥/٩، حدائق الروح والريحان: ٢٩/٢٠.

المبحث الرابع
مناقشة القائلين بالنزول جملة والرد عليهم،
وبيان الرأي الراجح وسببه

بعد أن تعرضت للقولين السابقين في المسألة موضوع البحث أذكر هنا مناقشة القائلين بنزول الكتب جملة واحدة، والرد عليهم فأقول وبالله التوفيق:

أولا: أدلة هؤلاء لا يمكن الاعتماد عليها فهي ضعيفة:

وقد ذكر الدكتور/ فضل حسن عباس ما يمكن الاعتراض به على تلك الأدلة التي ذكرها السيوطي فقال: "أما الكتب السماوية فقد اشتهر أنها نزلت جملة واحدة، وليس لدينا دليل صحيح قطعي نركن إليه في هذه القضية، بل هي أدلة احتمالية، منها أدلة استنبطها بعض العلماء من القرآن الكريم نفسه، ومنها آثار لا يمكننا التعويل عليها أو الركون إليها"(١).

ثانيا: ليس في الآيات التي استدلوا بها تصريح على أن التوراة نزلت جملة واحدة بل جاء النص بذكر الألواح.

﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٤ – ١٤٥].

---

(١) إتقان البرهان فضل حسن عباس ص ١٥٦، ط: دار الفرقان – عمان، ط: الأولى: ١٩٩٨م.

وقوله: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٤] ، وقال تعالى:﴿ وَإِذ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧١]

وقد ذكر الإمام ابن كثير في تفسيره أن العلماء اختلفوا فمنهم من قال: كانت الألواح مشتملة على التوراة، ومنهم من قال أعطيها قبل التوراة، ولم يرجح أحد القولين بل عقب بقوله: فالله أعلم [١].

وهذا الخلاف يمنع من الاستدلال بالآية أو الأثر الوارد عن ابن عباس في نزول التوراة جملة واحدة إذ من المحتمل أن تكون الألواح غير التوراة[٢].

يقول د/ فضل حسن عباس: هذه الآية تحتاج أن تناقش فهل الألواح هي التوراة كلها ؟ ألا يمكن أن تكون هذه الألواح هي التوراة أو بعضها ؟ فالحق أن الآية الكريمة ليست دليلا على المدعي[٣].

ثالثا: أن الأدلة المصرحة بالنزول الجملي ليست مؤكدة الصحة من حيث الإسناد فيما يظهر لي:

فالروايات التي ذكرها الإمام السيوطي ليست بصحيحة من جهة السند، وتفنيد آثارهم كالآتي:

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٧٤/٣

(٢) البيان في مباحث من علوم القرآن للشيخ عبدالمجيد عبدالوهاب غزلان ص٧٠ بدون طبعة.

(٣) إتقان البرهان ص ١٥٦.

الأثر الأول: الذي أخرجه ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد بن يحيى ابن سعيد القطان، ثنا يونس بن بكير حدثني محمد بن اسحاق، حدثني صدقة بن يسار، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أعطى الله موسى التوراة في سبعة ألواح من زبرجد فيها تبيان لكل شيء ... الحديث.

هذا السند ضعيف فيه يونس بن بكير: أبو بكر الكوفي، قال الجوزجاني: ينبغي أن يتثبت في أمره لميله عن الطريق، وقال أبو داود: ليس بحجة يوصل كلام بن إسحاق بالاحاديث، قال الساجي وحدثني أحمد ابن محمد يعني ابن محرز قال قلت ليحيى الحماني إلا تروي عن يونس ابن بكير ؟ قال: لم يكن ظاهرا.

قال: وقلت لابن أبي شيبة إلا تروي عنه ؟ قال: كان فيه لين.

قال الساجي: وكان صدوقا إلا أنه كان يتبع السلطان، وكان مرجئا وكذا عن يحيى بن معين، وضعفه النسائي فقال مرة ليس بالقوي ومرة: ضعيف)(١).

(١) ينظر: أحوال الرجال: إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني أبو إسحاق (ت ٢٥٩هـ) ص ٨٥، رقم (١١٧)، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ، الكامل في ضعفاء الرجال: أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ): ٥٢١/٨، رقم (٢٠٨٤)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، تذكرة الحفاظ: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى: ٢٣٨/١، رقم (٣١٠ – ٦/٧٩)، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى: ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي: ٢٥٥/١٧، رقم (٧١)، المحقق: مجموعة محققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة.

قال أبو داود ليس بحجة يوصل كلام بن إسحاق بالاحاديث[١]. وقال ابن حجر: صدوق يخطىء [٢].

فتبين أن سبب القدح في يونس بن بكير عند من ضعفه هو وصله كلام ابن اسحاق بالأحاديث كما ذكره أبو داوود والجوزجاني، وحديثنا من روايته عن ابن اسحاق فالراجح ضعفها والله أعلم.

الأثر الثاني: عن عبد الرحمن بن عمر بن رسته الأصبهاني، ثنا ابن مهدي، ثنا أبو سلمة، عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير وفيه ... فقالت اليهود يا أبا القاسم: لولا انزل هذا القران جملة واحدة كما انزلت التوراة على موسى فأنزل الله: { كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا * وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا }، وقرأ: { وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ }.

الأثر فيه حكيم بن جبير قال فيه العلماء: كذاب[٣].

وعن أحمد بن سنان قال: سألت عبد الرحمن بن مهدي لم تركت حكيم ابن جبير فقال: حدثني يحيى القطان سألت شعبة عن حديث من حديث حكيم ابن جبير فقال أخاف النار[٤]، وقيل: كان شعبة يتكلم فيه[٥].

---

(١) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الذهبي الدمشقي: ٤٠٢/٢، رقم (٦٤٦٤)، ط: دار القبلة للثقافة الاسلامية – مؤسسة علوم القرآن – جدة.

(٢) تقريب التهذيب: ابن حجر العسقلاني: ٦١٣/٢، رقم (٧٩٠٠).

(٣) أحوال الرجال: ٤٨/١، رقم (٢١).

(٤) ينظر: التاريخ الصغير: ١٥/٢، الجرح والتعديل: ٢٠١/٣، رقم (٨٧٣).

(٥) ينظر: التاريخ الكبير: ١٦/٣، رقم (٦٥)، الضعفاء الصغير للبخاري: ٣٨/١.

وسئل الإمام أحمد بن حنبل عن حكيم بن جبير، فقال: ضعيف الحديث مضطرب[١].

وقال يحيى: مرة ليس بشيء[٢].

وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث منكر الحديث له رأى غير محمود نسأل الله السلامة غال في التشيع، وقال النسائي ليس بالقوي[٣].

إضافة إلى ذلك: هذا الأثر أخرجه ابن أبي حاتم معلقا بصيغة التمريض قال: ذُكر عن عبدالرحمن بن عمر بن رسته الأصبهاني، وعليه فالإسناد ضعيف للانقطاع بين ابن أبي حاتم وابن رسته، وليس لابن أبي حاتم سماع منه مباشرة.

الأثر الثالث: أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قالت اليهود يا أبا القاسم ! لولا أنزل هذا القرآن جملةً واحدةً كما أنزلت التوراة على موسى ؟ فنَزَلتْ[٤].

---

(١) الجرح والتعديل: ٣/٢٠٢.

(٢) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي: ١/٢٣٠، رقم (٩٧٤).

(٣) ينظر: تهذيب التهذيب: ٢/٣٨٣، رقم (٧٧٣)، مختصر الكامل في الضعفاء: ١/٢٤٢، رقم (٤٠٢).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم بسند عن عبد الرحمن بن عمر بن رسته الاصبهاني، ثنا ابن مهدي، ثنا أبو سلمة، عن حكيم بن جبير، عن سعيد ابن جبير وفيه ... فقالت اليهود: يا أبا القاسم لولا انزل هذا القران جملة واحدة كما انزلت التوراة على موسى، فأنزل الله: { كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا * وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا } وقرا: { وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ }. ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٨/٢٦٨٩، رقم (١٥١٢٧).

وفيه من الضعف مثل الأثر الثاني لاتفاقهما في السند.

وقد بدأت بنقض الروايات من جهة السند أولا لأهمية الإسناد؛ لأنه كما قال الإمام عبدالله بن المبارك في مقدمة صحيح مسلم الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء[١].

رابعا: ما استدلوا به من حديث الفتون السابق الموجود في سنن النسائي، فالحديث ضعيف مداره على إصبغ بن زيد قال ابن حبان كان يخطىء كثيرا لا يجوز الاحتجاج بخبره اذا انفرد، والجمهور على توهينه وأنه إلى الضعف أقرب ولم يتابعه على هذا الحديث أحد وأصبغ بن زيد: تكلم فيه بعض الأئمة، ووثقه كثيرون. ولعله لذلك قال الذهبي[٢]: " فيه لين ".

وقال الحافظ في "التقريب": "صدوق يغرب"[٣].

وفي "معرفة الرجال" ليحي بن معين، رواية ابن محرز (رقم ٣٣٦): "قَالَ: وَسَمِعْتُ يَحْيَى، وَسُئِلَ عن أَصْبُغ بن زَيْد، يَعْنِي الوَرَّاق ؟ قَالَ: لاَ بَأْسَ بِهِ، ولَكِنِّي لا أَحْسَبُ حَدِيْثَ الفُتُونِ حَقًّا"[٤].

قال ابن كثير - ﷺ -: " هكذا رواه الإمام النسائي في السنن الكبرى،

---

(١) صحيح مسلم: ١/١٥، ط: احياء التراث العربي، بيروت.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي: ١٢٨/٨.

(٣) ينظر: الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي: ١٢٦/١، رقم (٤٤١)، الجرح والتعديل: ٣٢٠/٢، الطبقات الكبرى: ٣١٢/٧، الكامل في ضعفاء الرجال: ١٠٤/٢، رقم (٢٢٣)، المجروحين: ١٧٤/١، تهذيب الكمال: ٣٠١/٣، رقم (٥٣٥)، ميزان الاعتدال: ٢٧٠/١، رقم (١٠١٠)، المغني في الضعفاء: ٩٢/١، وينظر: تهذيب التهذيب: ٣٦١/١.

(٤) اكمال تهذيب الكمال: ٢٥٠/٢.

وأخرجه أبو جعفر بن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما كلهم من حديث يزيد بن هارون به وهو موقوف من كلام ابن عباس، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه، وكأنه تلقاه ابن عباس- ﷺ - والله أعلم. وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضًا[1].

وقال في "البداية والنهاية": " هكذا ساق هذا الحديث الإمام النسائي وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما من حديث يزيد بن هارون والأشبه والله أعلم أنه موقوف وكونه مرفوعا فيه نظر.

وفي بعض ما فيه نظر ونكارة، والأغلب أنه من كلام كعب الأحبار وقد سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضا، والله أعلم " [2].

إضافة إلى ذلك: فجميع ما استدل به من روايات هي موقوفه على بعض الصحابة وهي روايات لم تثبت كما قال د/ فضل حسن عباس[3].

وقال الطاهر ابن عاشور في رواية ابن عباس: وأما ما روي أنها لما تكسرت ذهب ستة أسباعها، أو ذهب تفصيلها وبقيت موعظتها، فهو من وضع القصاصين[4].

وعلى هذا أستطيع القول بأن الروايات السابقة في اسنادها نظر وموقوفة وهي من الاسرائيليات المنقولة عن أهل الكتاب، ومدسوسة على ابن عباس.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٩٣/٥.

(٢) البداية والنهاية: ٣٥٨/١.

(٣) إتقان البرهان ص ١٥٧.

(٤) التحرير والتنوير: ٢٩٨/٨.

خامسا: ردا على قولهم بأن القرآن نزل منجما لأنه نزل على نبي أمي بخلاف الكتب السابقة فإنها نزلت على أنبياء يقرأون:

وقد نعى عليهم الطاهر ابن عاشور ذلك فقال: خوض المفسرين في بيان الفرق بين حالة رسولنا من الأمية وحالة الرسل الذين أنزلت عليهم الكتب اشتغال بما لا طائل فيه فإن تلك الكتب لم تنزل أسفارا تامة قط[١].

وعلى فرض أن موسى - عليه السلام - كان يقرأ ويكتب فكيف علموا بأن أنبياء الله كلهم كانوا قارئين وكاتبين، فهذا القول منهم لا دليل عليه.

وقال الطباطبائي: كون النبي أمي لا يقرأ ولا يكتب لا يمنع من نزول الكتاب جملة واحدة، وقد كان معه من يكتب ويحفظ.[٢]

سادسا: ردا على ادعائهم أن لله ـ تعالى ـ له طريقة واحدة في الرد على أباطيل الكافرين:

فهذا القول لا دليل عليه فان لكل دعوى طريقة في الرد تناسب المقام، إضافة إلى ذلك فالعرب أميون فما أدراهم بالكتب السماوية وكيفية نزولها حتى يجعل قولهم دليلا لقد قالوا أيضا: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزخرف: ٣١] لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين فادعاؤهم السابق مثل هذا فهو غير مبني على علم حيث إن الآية لا تدل على أن الأنبياء السابقين كانوا يبعثون من عظماء القرى أو من الضعفاء ومع ذلك لم يرد الله عليهم بذلك أو بضده، وإنما قال لهم ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف: ٣٢] وهو انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم كما

---

(١) التحرير والتنوير: ١٩/٤٤.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٥/٢١٤.

قال الإمام البيضاوي[1].

قال القنوجي: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ ﴾ [الفرقان: ٣٢] هذا من جملة اقتراحاتهم وتعنتاتهم أي: هلا نزّل الله علينا هذا القرآن دفعة واحدة غير منجم. واختلف في قائل هذه المقالة؛ فقيل: كفار قريش، وقيل: اليهود، قالوا: هلا أتيتنا بالقرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة، والإنجيل، والزبور؟ وهذا زعم باطل، ودعوى داحضة، فإن هذه الكتب نزلت مفرّقة كما نزل القرآن، ولكنهم معاندون، أو جاهلون لا يدرون بكيفية نزول كتب الله سبحانه على أنبيائه[2].

ولعل كفار قريش قالوا ذلك على ما ألفوه من إلقاء القصائد فقد كانت القصيدة تلقى مرة واحدة لذلك كان التدريج مثار اعتراض منهم.

وردا على قولهم بأن القائلين له هم اليهود فهذا القول باطل؛ لأن الآية من سورة الفرقان وهي مكية ولم يكن بمكة جدال بين النبي واليهود وهذا القول مستبعد، وإن قيل: إن كفار قريش أخذوها من اليهود على نحو سؤاله عن الروح وغيرها ؟ أقول هذا ليس عليه دليل.والله أعلم.

قال ابن عاشور: إن قائل هذا اليهود أو النصارى فإن صح ذلك فهو بهتان منهم لأنهم يعلمون أنه لم تنزل التوراة والإنجيل والزبور إلا مفرقة[3].

---

(١) تفسير البيضاوي: ١٤٤/٥، روح المعاني: ٧٨/١٣، محاسن التأويل: ٣٨٨/٨، التفسير المنير للزحيلي: ١٤١/٢٥.

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن: ٣٠٥/٩، تفسير المراغي: ١٢/١٩، فتح القدير: ٢٧٤/٥، تفسير حدائق الروح والريحان: ٢٩/٢٠.

(٣) التحرير والتنوير: ٤٤/١٩.

<u>إضافة لذلك:</u> ففي ترك الله تعالى الرد على اقتراحهم إلى بيان الحكمة كأن الله يقول لهم: وما أدراكم بالكتب وكيفية إنزالها إن كيفية انزالها مبنية على الحكمة، وبما أن الأنبياء محتاجون إلى التثبيت فقد أنزل الله القرآن وكل الكتب على هذا النحو منجمة.

فيكون الدافع إلى كلامهم ليس الاستهداء، وإنما الإنكار والعناد؛ قال تعالى: ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١].

وقال تعالى معاتبا رسوله على الاستماع إلى مقترحاتهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [القصص: ٤٨] فهم قالوا ذلك تعنتا محضا لا طلبا للحق، ولأنه لو أجابهم سبحانه على هذا الاقتراح لاقترحوا ثانيا وثالثا فوجب سد هذ الباب عليهم قال تعالى حاكيا عنهم ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] فالله تعالى قادر على الاتيان بهذه الأشياء لأنه لا يعجزه شيء، ولكن الله تعالى لم يجبهم على مطالبهم؛ لأنه لو أجابهم لطلبوا غيرها وغيرها، لأن هدفهم التشكيك والإنكار والتعنت لا الاهتداء.

<u>وأيضا ردا على هذا الزعم:</u>

إن لله تعالى طرقا في الرد على ادعاءات المشركين ومن هذه الطرق أن يترك الجواب ويتجه إلى الحكمة منه مثل﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] فيقال إن الحكمة في التنجيم متحققة في كل الكتب فكأن الآية تجهيل لهم بأن الكتب التي شأنها أن تكون هادية يجب أن تكون منجمة[1].

(١) اتقان البرهان: ١٥٧/١.

فكان قولهم جهلا منهم بنزول الكتب السماوية فجاء الرد عليهم ما أدراكم بالكتب وطريقة انزالها فهي مبنية على الحكمة.

قال الشيخ عبد المجيد غزلان: أجاب فضلاء عصر الامام السيوطي على ذلك بأن الرد على الكفار الذين عابوا على القرآن نزوله منجما ببيان الحكمة في نزوله كذلك، وعدم الرد عليهم بأن التنجيم هو سنته تعالى في إنزال الكتب السابقة فيكون للرد عليهم طريقان اختار القرآن أحدهما(١).

إضافة إلى ذلك: استدلالهم بأن لله طريقة واحدة لا دليل عليه بل هو احتمال فقد يرد بأن الله بين الحكمة العظمى من التنجيم وهي " لنثبت به فؤادك" هذا لا ينفي أن تكون الكتب نزلت منجمة بل هذه هي السنة الإلهية وهي التدرج في الأحكام(٢).

سابعا: ردا على ما استدلوا به من لفظ نزل وأنزل فهذا القول باطل:

بدليل قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [الكهف: ١]، وقوله تعالى ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٣] ففعل تنزل رباعي مضعف فهذا دليل على اشتراك التوراة مع القرآن في صفة التنجيم، فما ذكروه من دلالة لفظ نزل وأنزل فهذا غير صحيح، وهي ليست قاعدة ثابتة في أن نزل تفيد التنجيم، وأنزل تفيد الإنزال جملة واحدة بدليل الآيات السابقة فقد قال في شأن القرآن أنزل وهو منجم بالإجماع، وفي شأن التوراة تنزل.

---

(١) البيان في مباحث من علوم القرآن ص ٧٠، ط: دار التأليف.

(٢) اتقان البرهان: ١/١٥٧.

المبحث الخامس

الرأي الراجح وسبب ترجيحه

بعد عرض أقوال العلماء في المسألة أبين هنا ما اتضح لي أنه الرأي الراجح، وهو أن الكتب السماوية السابقة نزلت مفرقة، كالقرآن.

ويرجع سبب ترجيحي له إلى:

١- **الحكم التشريعية التي اقتضت نزول القرآن مفرقا،**

قد وجد مثلها في الكتب السابقة؛ فاقتضى تماثل الحكم التشريعية أن تنزل الكتب السابقة منجمة، كذلك.

ومن تلك الحكم:

أ- **تثبيت فؤاد النبي** - ﷺ -؛ لأنه إذا كانت الحكم من نزول القرآن منها تثبيت فؤاد النبي فقد تعرض الرسل السابقون لأنواع من الأذى والصبر على أقوامهم فهم في أمس الحاجة إلى نزول الوحي عليهم تثبيتا لهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤].

فمثلا نبي الله موسى صبر على أذى فرعون الطاغية المتكبر وأراد اصلاحه، وكذلك تكذيب بني اسرائيل له ومخاطبته لهم ومحاولته علاجهم، كل ذلك يحتاج إلى تثبيت ولا يكون ذلك إلا عن طريق نزول الوحي وتفريقه.

إن الوحي كان ينزل مفرقا على الأنبياء وطيلة مدة الدعوة يقول القاسمي: إن تفريق الوحي وتمديد مدته بديهي الثبوت لمقدار مكث النبي. إذ ما دام بين ظهراني قومه، فالوحي يتوارد تنزله ضرورة[1].

---

(١) محاسن التأويل: ٧/٢٤٧.

ب- من الحكم أيضا: مسايرة الحوادث والطوارئ في تجددها وتفرقها:

فكلما جد منهم جديد، نزل من القرآن ما يناسبه وفصّل الله لهم من أحكامه ما يوافقه "[1].

فإذا كانت هذه الحكمة في نزول القرآن، فكيف يقال عما كان يَجِدُّ في الأمم السابقة هل يكون جوابه بأقوال أنبيائهم ؟ وإذا صح هذا فلم اختص الجواب في هذه الأمة بكونه من القرآن مع علمنا بأنه ليس كل ما جد لهم كان جوابه من القرآن.

ج- من الحكم الإجابة على أسئلة السائلين:

ففي كل زمن يسأل الأقوام أنبياءهم ويحتاج الرسول إلى الإجابة عنهم عن طريق الوحي كما حدث مع سيدنا موسى في شأن البقرة ومراجعته ربه كما ذكر القرآن، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة: ٦٧-٧١] ، وكما

---

(١) مناهل العرفان: ٥٨/١، الحديث في علوم الحديث: حسن محمد أيوب (ت ١٤٢٩هـ) ص ٣٧، ط: دار السلام – الإسكندرية، ط: الثانية ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

حدث مع سيدنا عيسى – عليه السلام – والحواريين وطلبهم انزال المائدة كما حكى القرآن عنهم قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (١١٥) وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١١٢ – ١٢٠]

فطلب الحواريون من عيسى – عليه السلام – انزال مائدة ومراجعتهم في طلبهم ثم استجابته لطلبهم وسؤاله ربه انزال مائدة واستجابة الله لطلبهم كل هذا دليل على التنجيم إذ لو نزل الكتاب جملة واحدة فكيف بهذه الأمور التي تجد بعد نزول الكتاب، وكيف يفعل الرسول ما يطلب منه فيما لا قدرة له عليه.

وقد أخبر القرآن الكريم أن الأمم السابقة كانوا كثيري الأسئلة قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ١٠١ - ١٠٢]

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ -: "ذروني ما تركتكم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ولكن ما نهيتكم عنه فانتهوا وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم "[(١)]. وهذا يقتضي نزول حكم بعد حكم.

د- من الحكم التدرج في التشريع:

هذه الحكمة من كمال العدل الالهي فالله تعالى أعدل الخلق، وأرشدهم بعباده رحمه، فلا يصح أن يقتصر التدرج على أمة دون أمة لكيلا يكون للناس على الله حجة.

ولأنه لو نزلت دفعة واحدة لشق على الناس، ولصعب عليهم تنفيذ ما جاء فيها؛ لذلك كانت الحاجة ملحة إلى التدرج لأن التدرج يسهل قبول الدعوة.

فالتدرج هو الوسيلة لقبول الدعوة، وتحمل التكاليف من غير ضجر ولا ملل.

ه- وقوع النسخ:

إذا كان من حكم نزول القرآن منجما إمكانية النسخ فقد وقع النسخ في الشرائع السابقة:

(١) أخرجه الامام أحمد في مسنده: ٢/٤٨٢، رقم (١٠٢٦٠)، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح وهذا إسناد حسن.

لأنه يستحيل أن ينزل الكتاب جملة واحدة وهو متضمن لحكمين افعل ولا تفعل والدليل على ذلك ما جاء عن الإمام الشوكاني قال: على أنا قد رأينا في التوراة في غير موضع أن الله سبحانه رفع عنهم أحكاما لما تضرعوا إليه، وسألوا منه رفعها، وليس النسخ إلا هذا[1].

وقال الإمام ابن تيمية - رحمه الله -: إنه سبحانه بين وقوع النسخ بتحريم الحلال في التوراة بأنه أحل لإسرائيل أشياء ثم حرمها في التوراة وأن هذا كان تحليلا شرعيا بخطاب لم يكونوا استباحوه بمجرد البقاء على الأصل حتى لا يكون رفعه نسخا كما يدعيه قوم منهم وأمر بطلب التوراة في ذلك. وهكذا وجدناه فيها كما حدثنا بذلك مسلمة أهل الكتاب في غير موضع[2].

الدليل على وقوع النسخ من القرآن:

قوله تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٦٠]

فبسبب ظلم اليهود بما ارتكبوه من الذنوب العظيمة، حَرّم عليهم في التوراة أشياء كانت حلالا لهم قبل ذلك. وليس هذا إلا النسخ.

وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

---

(١) ارشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الاصول للشوكاني: ٥٢/٢، وينظر: المحصول في علم الأصول للرازي: ٢٩٣/٣.

(٢) مجموع الفتاوى: ١١٣/٤.

وقال ابن كثير – رحمه الله –: فإنه ليس في العقل ما يدل على امتناع النسخ في أحكام الله تعالى؛ لأنه يحكم ما يشاء كما أنه يفعل ما يريد، مع أنه قد وقع ذلك في كتبه المتقدمة وشرائعه الماضية(١).

إذا ثبت هذا وأن النسخ كان موجودا في الشرائع السابقة ثبت نزول الكتب منجمة لأنه لا يمكن أن يكون هناك نسخ دون نزولها منجمة.

٢- اتفاق العلماء على أن كلام الله لموسى كان مفرقا:

فقد كلمه أولا على جبل الطور، وعندما أتى إلى فرعون قال له ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [طه:٦٨] فقوله تعالى له هذا وحي، وعندما اتبعهم فرعون قال له ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾[البقرة: ٦٠] وقال تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾[الأعراف: ١٦٠] ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء:٦٣]

ومجادلتهم له في شأن البقرة ورجوعه إلى ربه ومراجعتهم له المرة تلو الأخرى ورجوعه إلى ربه وإجابة الله تعالى له قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا

(١) تفسير ابن كثير: ١/٣٧٩، وينظر: التفسير القرآني للقرآن: ١/١٥١.

هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة: ٦٧ – ٧١]

٣- لم يصرح الزرقاني بالإجماع في هذه المسألة وإنما نسبه إلى الجمهور كما يتضح هذا من عبارته:

كما أن الإمام السيوطي – رحمه الله – قال: وقد رأيت بعض فضلاء العصر أنكر ذلك وقال إنه لا دليل عليه بل الصواب أنها نزلت مفرقة كالقرآن(١).

وهم بشهادة الإمام السيوطي من فضلاء عصره ومثل السيوطي لا يوصف بهذا الوصف إلا من له قدم راسخة في العلم(٢).

فهذا القول منه دليل على أنه ليس هناك إجماع على نزول الكتب جملة واحدة بدليل أن أفاضل عصر السيوطي ذهبوا إلى القول بالتنجيم.

٤- الخلاف بين المفسرين في الوقف والوصل في كلمة "كذلك":

فمن وقف عليها وجعلها جواباً لسؤال من سأل كما يذكر في سبب النزول ففيها دلالة إن ثبت سبب النزول بالصيغة التي يذكرها المفسرون وهو الإشارة إلى الكتب المتقدمة أو التوراة والإنجيل.

ومن جعل " كذلك " جملة مستأنفة فلا دلالة على ذلك وكونها مستأنفة هو رأي ابن عطية في تفسيره وقال هو أولى(٣).

---

(١) الإتقان: ١/١٢٢.

(٢) التبيان للشيخ غزلان ص ٧١.

(٣) المحرر الوجيز: ٥/١٠٨.

٥- إن هناك فرقا بين التوراة والصحف والألواح التي أنزلت على موسى -عليه السلام-:

التوراة إنما أنزلها الله بعد هلاك فرعون وإغراقه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٤٣] ولم يهلك الله أمة إلا قبل نزول التوراة بثلاثين عاما، أما بعد نزول التوراة فقد رفع الله العذاب العام، فدل هذا على أن الألواح كانت قبل نزول التوراة.

يقول الإمام ابن كثير عند هذه الآية: يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله موسى الكليم – عليه من ربه الصلاة والتسليم – من إنزال التوراة عليه بعدما أهلك فرعون وملأه.

وقوله: { مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأولَى } يعني: أنه بعد إنزال التوراة لم يعذب أمة بعامة، بل أمر المؤمنين أن يقاتلوا أعداء الله من المشركين، كما قال: ﴿ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ [الحاقة: ٩ – ١٠]

وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا محمد وعبد الوهاب قالا حدثنا عوف، عن أبي نَضْرَة، عن أبي سعيد الخُدْري قال: ما أهلك الله قومًا بعذاب من السماء ولا من الأرض بعدما أنزلت التوراة على وجه الأرض، غير القرية التي مسخوا قردة، ألم تر أن الله يقول: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (١).

---

(١) تفسير ابن جرير: ٢٥٩/١٨، رقم (٢٧٦٨٥)، وينظر: تفسير ابن كثير: ٢٣٩/٦، تفسير القرطبي: ٢٩٠/١٣، مفاتيح الغيب: ٦٠١/٢٤، الكشف والبيان: ٢٥١/٧، التفسير المنير للزحيلي: ٥٢/١٨، تفسير الشيخ المراغي: ٥٥/٢٠.

وهكذا رواه أبو بكر البزار في مسنده، عن عمرو بن علي الفلاس، عن يحيى القَطَّان، عن عوف، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد موقوفًا. ثم رواه عن نصر بن علي، عن عبد الأعلى، عن عوف، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد - رفعه إلى النبي - ﷺ - قال: "ما أهلكَ الله قوما بعذاب من السماء ولا من الأرض إلا قبل موسى"، ثم قرأ: { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأولَى }(١).

وقال الشوكاني - رحمه الله -: من بعد ما أهلكنا فرعون وقومه وخسفنا بقارون(٢).

وقال الشيخ السعدي: فهذا صريح أنه آتاه الكتاب بعد هلاك الأمم الباغية(٣).

فهذا دليل على أن الألواح غير التوراة لأن الله عاقب فرعون بإهلاكه غرقا في اليم.

وأنزل الله على إبراهيم وموسى صحفاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي

---

(١) أخرجه البزار في مسنده كما في كشف الأستار من وجهين الأول مرفوع والثاني موقوف على أبي سعيد. كشف الأستار عن زوائد البزار نور الدين علي بن أبي بكر ابن سليمان الهيثمي، كتاب: التفسير سورة القصص ج: ٣/٦٤، رقم (٢٢٤٧، ٢٢٤٨)، ط: الرسالة، بيروت، ط: الأولى ١٣٩٩هـ، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب: التفسير سورة القصص: ٧/٨٨، رقم (١١٢٥٣). وقال: رواه البزار موقوفاً ومرفوعاً ولفظه: "ما أهلك الله قوماً بعذاب من السماء ولا من الأرض إلا بعد ما أنزلت التوراة". يعني: ما مسخت قرية، ورجالهما رجال الصحيح.

(٢) فتح القدير: ٥/٤٠٧.

(٣) تفسير السعدي: ١/٥٥٢.

ﭐلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٨ - ١٩]، وهي غير التوراة، فإنَّ الله - ﷻ - أعطى موسى - ﵇ - صُحُفَاً وأعطاه أيضاً التوراة، فهل هما واحد أم هما مختلفان ؟

خلاف:

القول الأول: أنهما واحد لأنَّ صحف موسى هي التوراة وهي التي كتبها الله - ﷻ - بيده.

القول الثاني: أنَّ الصحف غير الكتب، وهذا القول هو الصحيح وهي أنَّ كتب الله - ﷻ - غير الصحف.

ويدل على هذا الفرق أنَّ الله - ﷻ - أعطى موسى - ﵇ - صُحُفَاً وكَتَبَ له ذلك في الألواح كما قال ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٥]: وأوحى الله - ﷻ - إليه بالتوراة أيضاً.

فقوله:﴿ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى:١٩]:

صحف إبراهيم: ذَكَرَ الله ما فيها في سورة النجم قال ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ [النجم: ٣٧ - ٤١] إلى آخره، فهذه كانت مما في صحف إبراهيم - ﵇ -.

وفي صحف موسى: ما كتبه الله - ﷻ - له.

وأما التوراة: فهي وحْيٌ وكتَابٌ مستقل غير صحف موسى - ﵇ - أوحاها الله - ﷻ - إليه.

والأظهر كما ذكرتُ لك من سياق الآيات في سورة الأعراف أن الكتب غير الصحف[1].

والتوراة والألواح التي كتبها الله وأنزلها على موسى بعد أن عبد بنو إسرائيل العجل، وكان هذا بعد هلاك فرعون، وذلك لما ذهب موسى لملاقاة ربه - ﷻ - أربعين ليلة، واستخلف أخاه هارون، وهو نبي مثله قال: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٢] فجاء السامري فصنع لهم من الحلي عجلاً له خوار، وقالوا: ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾ [طه: ٨٨] فعبدوه فنهاهم هارون ومنعهم؛ فلم يقبلوا كلامه، وأرادوا قتله كما قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾[طه: ٩١]، فلما جاء موسى ووجدهم يعبدون العجل غضب غضباً شديداً وألقى الألواح حتى تكسرت من شدة الغضب، وهذا فيه دليل على أنه ليس من رأى كمن سمع، ففي الأول أخبره الله أنهم عبدوا العجل لكنه لم يغضب هذا الغضب الشديد إلا عندما رآهم بعينه يعبدون العجل، وقد عفا الله تعالى عنه مع كونه ألقى الألواح - وفيها كلام الله - حتى تكسرت من شدة الغضب، ثم أخذ برأس أخيه هارون - وهو نبي كريم مثله - وجره برأسه ولحيته لأنه تركهم يعبدون العجل قال تعالى ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾ [طه: ٩٤]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية الشيخ صالح بن فوزان الفوزان ص ٣٢١.

فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٠] يقول: ما قصرت، فقد نصحتهم، لكنهم ما قبلوا وأرادوا قتلي ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ ﴾ [طه: ٩٤] وهذا من باب الاستعطاف وإلا فهو أخوه لأبيه وأمه.

فيحتمل والله أعلم أنها غير التوراة؛ لأن التوراة إنما نزلت بعد هلاك فرعون وعبادتهم العجل، والله تعالى عفا عنه؛ لأن له مكانة ومنزلة عند الله؛ لأن إلقاء الألواح وفيها كلام الله حتى تتكسر ذنب عظيم.

أما الألواح فقد نقل ابن كثير أن الألواح أعطيها موسى قبل التوراة، فالله أعلم[1].

وعلى هذا فالألواح المذكورة في الآية: غير التوراة، وإنما فيها مواعظ وأشياء أخرى، سوى ما في التوراة بدليل قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

ومن الأدلة على أن الألواح غير التوراة:

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٥ – ٣٦] وهم فرعون وقومه. والآيات الخوارق التسع. أي: فذهبا إليهم. فأرياهموها فكذبوها: { فدمرناهم تدميرا } أي: بالإغراق في البحر[2].

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: ٣/٤٧٤.

(٢) محاسن التأويل: ٧/٤٢٨.

قال ابن عاشور: وأريد بالكتاب الوحي الذي يكتب ويحفظ وذلك من أول ما ابتدئ بوحيه إليه، وليس المراد بالكتاب الألواح لأن إيتاءه الألواح كان بعد زمن قوله: { اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ }، فقوله: { فَقُلْنَا اذْهَبَا } مفرع عن إيتاء الكتاب فالإيتاء متقدم عليه.

وفي وصف الوحي بالكتاب تعريض بجهالة المشركين القائلين { لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً }، فإن الكتب التي أوتيها الرسل ما كانت إلا وحيا نزل منجما فجمعه الرسل وكتبه أتباعهم.

والتعريض هنا إلى تأييد موسى بهارون وتعريض بالرد على المشركين إذ قالوا ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧] فإن موسى لما اقتضت الحكمة تأييده لم يؤيد بملك ولكنه أيد برسول مثله[1].

فعلى هذا فالتوراة غير الألواح لأن إيتاء الألواح كان بعد ذلك.

٦- ومما يدل على نزول الكتب السماوية منجمة وعلى رأسها التوراة:

قوله تعالى: ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٢]

فهل كان الإتمام بوحي أم لا ؟

إن قلنا أن الاتمام كان بوحي إذًا ثبت التنجيم، وإن قيل بدون وحي فيكون لا فائدة منه وهو عبث والله تعالى منزه عن ذلك.

(١) التحرير والتنوير: ١٩/٥٠.

الخاتمة

الحمد لله الذي من علينا بالعلم، وجعله سبب للرفعة عنده سبحانه فقال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١]

وحثنا على الدعاء بالمزيد منه قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء:٨٥]

وأصلى وأسلم على خاتم أنبيائه سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد؛ فمن خلال معايشتي مع هذا البحث، والوقوف على أقوال أهل العلم، وعرض أدلتهم، ومناقشتها، تكشفت لي النتائج الآتية:

١- أن الكتب السماوية السابقة قد نزلت منجمة كالقرآن الكريم.
٢- أن منهج التنجيم هو المنهج العام في تنزيل الكتب السماوية لحكم كثيرة مشتركة بين جميع الرسالات والرسل.
٣- ضعف أدلة القائلين بالنزول جملة واحدة للكتب السماوية.
٤- وقوع النسخ في الشرائع السابقة دليل على التنجيم.

وقد حاولت أن يخرج هذا البحث في أحسن صورة وأن يستفيد منه المسلمون، وقد بذلت في ذلك غاية جهدي، فإن أكن قد وفقت؛ فبفضل الله ومنته، وإلا؛ فحسبي أنني حاولت الخير جهدي، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أهم المراجع

- القرآن الكريم - جل من أنزله - ثم:

١- اتقان البرهان: د/ فضل حسن عباس، ط: دار الفرقان، عمان، ط: الأولى ١٩٩٨م.

٢- الاتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي.

٣- أحوال الرجال: إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني أبو إسحاق (ت ٢٥٩هـ) تحقيق: صبحي البدري السامرائي، ط: مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ.

٤- إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي ابن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، المحقق: الشيخ/ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، قدم له: الشيخ/ خليل الميس، والدكتور/ ولي الدين صالح فرفور، ط: دار الكتاب العربي، ط: الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

٥- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال: مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (ت ٧٦٢هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد، أبو محمد أسامة ابن إبراهيم، ط: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط: الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٦- بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ).

٧- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي

الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) حققه ودقق أصوله وعلق حواشيه: علي شيري، ط: دار إحياء التراث العربي، ط: جديدة محققة، ط: الاولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٨- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط: الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م

٩- البيان في مباحث من علوم القرآن للشيخ/ عبدالمجيد عبدالوهاب غزلان، بدون طبعة.

١٠- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط: دار الهداية.

١١- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: شمس الدين محمد ابن أحمد بن عثمان الذهبي، ط: دار الكتاب العربي، لبنان / بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٢- التاريخ الأوسط: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) المحقق: تيسير بن سعد، ط: دار الرشد، الرياض، ط: الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

١٣- التاريخ الصغير: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمود ابراهيم زايد، فهرس أحاديثه: يوسف المرعشي، ط: دار المعرفة، بيروت.

١٤- التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق: السيد هاشم الندوي.

١٥- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ: عثمان بن علي ابن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (ت ٧٤٣هـ) الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس ابن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (ت ١٠٢١هـ)، ط: المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، القاهرة.

١٦- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور: محمد الطاهر ابن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، ط: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م

١٧- تذكرة الحفاظ، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

١٨- تفسير ابن أبى حاتم: الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي، ط: المكتبة العصرية – صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب.

١٩- تفسير البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ط: دار الفكر – بيروت.

٢٠- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور/ هاشم محمد علي بن حسين مهدي، ط: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٢١ هـ ٢٠٠١م.

٢١- تفسير روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي

الخلوتي، ط: دار إحياء التراث العربي.
٢٢- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠ -٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
٢٣- تفسير القرآن: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (٤٢٦هـ - ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس ابن غنيم، ط: دار الوطن، الرياض، السعودية ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
٢٤- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا (ت ١٣٥٤هـ)، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٥- تفسير المراغي: الشيخ/ أحمد مصطفى المراغي، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
٢٦- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: أ.د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط: دار الفكر المعاصر، دمشق، ط: الثانية ١٤١٨هـ.
٢٧- التفسير القرآني للقرآن: الدكتور/عبد الكريم الخطيب، ط: دار الفكر العربي، القاهرة.
٢٨- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: أ.د/ محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر).
٢٩- تهذيب الكمال مع حواشيه: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي (٦٥٤ - ٧٤٢هـ)، المحقق: د/ بشار عواد معروف، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
٣٠- تهذيب التهذيب للإمام الحافظ شيخ الاسلام شهاب الدين أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، ط: دار الفكر للطباعة

والنشر والتوزيع، ط: الاولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٣١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر ابن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٣٢- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق: سمير البخاري، ط: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

٣٣- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، المحقق: مكتب التحقيق بدار هجر، ط: دار هجر، ط: الأولى.

٣٤- الجامع الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، ط: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م

٣٥- الجرح والتعديل: الإمام الحافظ شيخ الاسلام أبى محمد عبد الرحمن ابن أبى حاتم محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت ٣٢٧هـ)، ط: الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن - الهند ١٢٧١هـ ١٩٥٢م، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٦- الحديث في علوم الحديث: حسن محمد أيوب (ت ١٤٢٩هـ)، ط: دار

السلام، الإسكندرية، ط: الثانية ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
٣٧- الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة: محمد علاء الدين بن علي الحصكفي (ت ١٠٨٨هـ)، ط: دار الفكر، بيروت ١٣٨٦هـ.
٣٨- السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
٣٩- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي، المحقق: مجموعة محققين، بإشراف: شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة.
٤٠- شرح العقيدة الطحاوية الشيخ صالح بن فوزان الفوزان.
٤١- صفوة التفاسير للصابونى: سماحة الشيخ/ محمد علي الصابوني، الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة - جامعة الملك عبد العزيز، ط: دار الصابوني.
٤٢- الضعفاء الصغير للإمام الحافظ محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم زايد، ط: دار المعرفة، بيروت.
٤٣- الضعفاء والمتروكين: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج (٥١٠ - ٥٧٩هـ)، تحقيق: عبد الله القاضي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ.
٤٤- الطبقات الكبرى: محمد بن سعد أبو عبد الله البصري (ت ٢٣٠هـ)،

المحقق: إحسان عباس، ط: دار صادر، بيروت، ط: الأولى ١٩٦٨م.
٤٥- علوم القرآن الكريم، تأليف: نور الدين عتر، ط: الصباح، دمشق.
٤٦- فتحُ البيان في مقاصد القرآن: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن ابن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، ط: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
٤٧- فتح الرحمن في تفسير القرآن: مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت ٩٢٧هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، ط: دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلاميّة – إدَارَةُ الشُؤُونِ الإسلاَمِيّةِ)، ط: الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.
٤٨- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد ابن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ).
٤٩- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ط: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.
٥٠- قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن: مرعي ابن يوسف بن أبي بكر الكرمي ف، تحقيق: سامي عطا حسن، ط: دار القرآن الكريم، الكويت ١٤٠٠هـ.
٥١- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الذهبي الدمشقي (٦٧٣ – ٧٤٨هـ) وحاشيته للإمام برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن محمد سبط

ابن العجمي الحلبي (٧٥٣ - ٨٤١هـ) - رحمهما الله تعالى - قابلهما بأصل مؤلفيهما وقدم لهما وعلق عليهما وخرج نصوصهما: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، ط: دار القبلة للثقافة الاسلامية، مؤسسة علوم القرآن، جدة.
٥٢- الكامل في ضعفاء الرجال: أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ)، ط: دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
٥٣- كشف الأستار عن زوائد البزار نور الدين علي بن أبي بكر ابن سليمان الهيثمي، ط: الرسالة، بيروت، ط: الأولى ١٣٩٩هـ.
٥٤- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٢هـ.
٥٥- اللالىء الحسان في علوم القرآن، تأليف: موسى لاشين، ط: دار التأليف، مصر الجديدة.
٥٦- مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط: الثالثة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
٥٧- المبسوط، المؤلف: محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني أبو عبد الله، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، ط: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية،
٥٨- المبسوط: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت.
٥٩- متن بداية المبتدي في فقه الإمام أبي حنيفة: برهان الدين علي ابن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، ط: مكتبة ومطبعة محمد علي صبح، القاهرة، ط: الأولى ١٣١٣هـ ١٩٩٧م.

٦٠- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين: الامام الحافظ محمد ابن حبان بن احمد ابى حاتم التيميمي البستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق: محمود ابراهيم زايد.

٦١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر ابن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) المحقق: حسام الدين القدسي، ط: مكتبة القدسي، القاهرة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٦٢- مجموع الفتاوى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، المحقق: أنور الباز، عامر الجزار، ط: دار الوفاء، ط: الثالثة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٦٣- محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٨هـ.

٦٤- المحرر في علوم القرآن: د/ مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، ط: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط: الثانية ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٦٥- المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م.

٦٦- مختصر القدوري في الفقه الحنفي: أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر ابن حمدان أبو الحسين القدوري (ت ٤٢٨هـ)، ط: دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤١٨هـ.

٦٧- مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن: عبدالجواد خلف محمد عبدالجواد، ط: دار البيان العربي – القاهرة

٦٨- المدخل لدراسة القرآن الكريم: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت ١٤٠٣هـ)، ط: مكتبه السنة، القاهرة، ط: الثانية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

٦٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، ط: مؤسسة قرطبة – القاهرة.

٧٠- مسند أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، ط: دار المأمون للتراث، دمشق، ط: الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٧١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠هـ).

٧٢- معالم التنزيل: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الرابعة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٧٣- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٧٤- المغرب في ترتيب المعرب: أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد ابن علي بن المطرز، تحقيق: محمود فاخوري، وعبدالحميد مختار، الناشر: مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط: الأولى ١٩٧٩م.

٧٥- المغني في الضعفاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٦٧٣هـ - ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور/ نور الدين عتر.

٧٦- المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره: الدكتور/ محمد علي الحسن، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م،

٧٧- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ)، ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الثالثة.

٧٨- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين أبوعبد الله محمد ابن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: الشيخ/ علي محمد معوض، والشيخ/ عادل أحمد عبدالموجود.

٧٩- نزول القرآن وتاريخه وما يتعلق به، اعداد: الدكتور/ محمد عمر حويه، مدير مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٨٠- نظرية النسخ في الشرائع السماوية: د/ شعبان محمد اسماعيل، ط: دار السلام، ط: الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٨١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

